هل هي سبعة اعوام حقا

يسير رئيس التحرير باصابع يده على مساحات الزمن الهائلة. يتوغل في النظام المرعب فوق سطور الاجندة المستقيمة. سيعثر على موضوع للعدد القادم:

خمسون عاما على الحرب العالمية الثانية

خمسون مليون قتيل

سبع شعرات بيض على الصدغ (الشعر الابيض هو ارشيف الماضي -ادغار الان بو)

سبعة اعوام على مذابح صبرا وشاتيلا.

هل هي سبعة اعوام حقا؟

لنخرج من الاجندة. لنقف في زاوية محايدة على كوكب اخر. وآنذاك سنكتشف ان للحدث، اي حدث، اكثر من زمن واحد. ثمة زمن في الجسد. زمن في الروح. زمن في الذاكرة وزمن في الزمن.

أي زمن لي انا ذبيحة صبرا وقربان شاتيلا؟ ان كان لي زمن البَنْدورة القديم افلن يكون لي زمن البَنَدورة هذا القائم بجحيمه المتداخل في جحيمي؟

هل خرجت صبرا من صبرا؟

هل رحلت شاتيلا عن شاتيلا؟

لنترك الاجندة جانبا -ولنقترب من صبرا وشاتيلا في ذاكرتنا الملتهبة كبيروت الجسد وبيروت الذاكرة.

لنترك بيروت جانبا ولنقترب من القدس.

ولنترك القدس في الاجندة ولنقترب من غزة ونابلس. لنقترب من قبورنا المفتوحة بلا هوادة، بلا رحمة وبلا اجندة. هناك نبني كنيسا لدمنا ونهدم ديرا على رماد اوشفتس.

سبعة اعوام؟

ليكن. لا اعترض على دقة الحساب. لا اعترض على مشيئة الله وعلماء التقاويم، وانني لاذكر، اذكر جيدا.

في ساعات الفجر الاولى عرقلت القذيفة الصاروخية مسار الشعاع الاول. كان ذلك شعاعا غير مبرر. أما القذيفة فاسميها المحبة والقبها الوحدة. ولم يكن ذلك الطفل مبررا لانه لم يولد في فلسطين. اما الصلية التي مزقته فاسميها التسامح والقبها الحرية، ولتكن الاسرة النائمة اسرة ميتة. أما الدبابة فاسميها القومية ولتكن نواقيس القيامة، كل شيء في مكانه. ولكل شيء مكانه.

تبرير كامل من شأنه ان يفند قشرة بشرية طارئة على تراب صبرا وصفيح شاتيلا.

أذكر جيدا. أذكر كان هناك ملاك ابيض وطائرة زرقاء. اما اللهيب فلبرتقال يافا. جافا اورانج للتصدير (لم يعجب الانجليز ان يجير الاسرائيليون اسمه الى جافو اورانج فامتنعوا عن شرائه حتى خضع الاسرائيليون اخيرا للجنيه الاسترليني وعادوا الى التسمية القديمة بلون له وهج الحرائق في صبرا وشاتيلا.

ولندخل الاجندة. لا بأس. ولنبحث هناك عن التاريخ، لنكتشف مدى العبث في البحث عن التاريخ داخل الاجندة. سيكون في مقدورنا ان نعثر على مواعيد القصف بدقة متناهية، وسنعثر على نصوص الاوامر العسكرية. هذا ما يفعله المؤرخون. أما الادباء فيذهبون في فارق الزمن بين خطوط العرض والطول على حبة البَنْدورة تارة وعلى حبة البَنَدورة طورا.

وماذا يظل لي أنذاك؟ ماذا يظل لذبائح صبرا وقرابين شاتيلا؟ يقول المسيو اندريه مالرو ان الحياة لا تساوي شيئا، لكن لا شيء يساوي الحياة.

أنا امدقه. صبرا تصدقه وشاتيلا. أما المؤرخون فسيظل لهم رأيهم الاخر. رأيهم اللائق بالأجنده.

سبعة اعوام؟

كان بودي ان اقيس سرعة القذيفة لاكشف على الملأ مدى حمق المعايير المتداولة والمقاييس المكرسة.

وكان بودي ان اقيس سرعة النزيف وتلاشي الرمق الاخير لاسلح نفسي بما يليق بصبرا وشاتيلا من سخرية طاهرة.

كان بودي. لكنها سبعة اعوام. هكذا يقول المؤرخون هكذا تحكم الاجندة. لا اعترض. لا اعتراض على شيء ذلك ان الاعتراض يفترض التصديق. ولا ينبغي الافراط في التصديق. حسبي انني صدقت المسيو اندريه مالرو مرة واحدة.

صبرا وشاتيلا ميتتان. انا على قيد الحياة. ولا اصدق. صبرا وشاتيلا على قيد الحياة. وانا انا الميت. واذا كان باستطاعة الموتى ان يسيروا فسأسير الى المؤتمر الدولي وهناك سأقدم التماسا خطيا إلى هيئة الامم المتحدة: اضيفوا الى مائدة المفاوضات مقاعد خاصة بوفدي الخاص: ذبائح صبرا وقرابين شاتيلا..

سبعة اعوام على الاكثر

سبعة وسبعون مقعدا على الاقل

«صوت البلاد» ١٥/ايلول/١٩٨٩